



نشـرة دورية تعنى بالبحوث الجغرافية
يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية

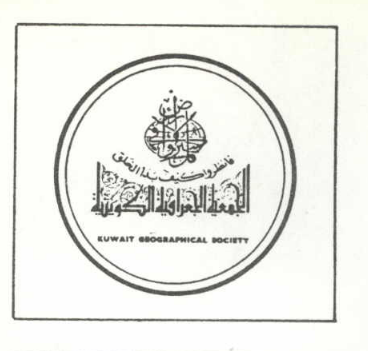
القبائل والسياسة

في شرقي شبه الجزيرة العربية

تأليف : ج. ا. بترسون
ترجمة : حسين علي اللبودي
مراجعة : د. محمود ابو العلا

يونيو - حزيران ١٩٧٩م
رجب ١٣٩٩هـ







نشرة دورية تعنى بالبحوث الجغرافية
يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية

القبائل والسياسة

في شرقي شبه الجزيرة العربية

تأليف : ج. ا. بترسون
ترجمة : حسين علي اللبودي
مراجعة : د. محمود ابو العلا

٦

يونيو - حزيران ١٩٧٩ م
رجب ١٣٩٩ هـ

أسرة التحرير :

الدكتور عبد الله الغنيم — رئيس قسم الجغرافيا « مشرفا »

الاستاذ ابراهيم الشطي — رئيس الجمعية الجغرافية الكويتية

الاستاذ الدكتور محمود طه ابو العلا

الدكتور محمد عبد الرحمن الشرنوبي

الدكتور طه محمد جاد

المراسلات

الجمعية الجغرافية الكويتية — ص ب ١٧٠٥١ — الخالدية — الكويت

جميع الآراء الواردة في هذه النشرة تعبر عن رأي اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن راي الناشر .

تقديم

بقلم الدكتور محمود ابو العلا

لقد اهتم كاتب هذا المقال – مستر بترسون – بدراسة النواحي البشرية لشرقي شبه جزيرة العرب وبخاصة سلطنة عمان . وقد ظهر له كتاب عن السلطنة عام ١٩٧٨ . كما دبج مقالات اخرى عن هذا الجزء من شبه جزيرة العرب .

لقد أغرت دراسة القبائل كنظام اجتماعي غير معروف في دول الغرب كثيرا من الكتاب الانجليز والامريكان . وقد أسرفوا في تحليل بعض المظاهر القبلية وحملوها مالا تحمل ، كما أن جهلهم باللغة العربية أوقعهم في كثير من الاخطاء .

وقد كتب مستر بيترسون بحثه هذا عن القبائل والسياسة في شرقي شبه الجزيرة العربية بعد دراسة ميدانية أجراها عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ وتتناول النظام القبلي وآثاره على الحيـاة السياسية والاجتماعية . ثم تتبع التحول الكبير في حياة السكان والدول في هذه المنطقة بعد اضمحلال النظام القبلي وأخذ الحكام باساليب الادارة الحديثة المتبعـة في الدول المتقدمة . ويعزي هـذا التحول ، في قدر كبير منه الى ظهور البتـرول واستثماره وضخامة انتاجـه وكبـر مردوده . فقـد كان ظهوره بمثابة حدث هام في حياة سكان امارات ومشيخـات الخليج العـربي وسلطنة عمـان .

كانت القبيلة أساس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وكان شيوخ القبائل هم الحكام . وكان الصراع فيما بينهم يشكل التاريخ السياسي لهذه الامارات والدول نظرا لضعف السلطـة المركزية كما كان الحال في عمان .

لكن ظهور البترول كان العصا السحرية التي غيرت الى حد كبيـر أنماط الحياة في شرقي شبه الجزيرة العربية فقد جاء في ركابه :

– اضمحلال النظام القبلي وازدياد سلطـة الحكومات وقيامهـا بالخدمات على اختلاف أنواعها فتعطل نفوذ شيوخ القبائل .
– التطور السياسي لدول شرقي شبه الجزيرة وقيامها بالمحاولات المتكررة لرسم الحدود السياسية فيما بينها – ولم تكن تعرفها فيما قبل دول شبه الجزيرة العربية – فقام الصراع بينهـا من أجل تخطيط هذه الحدود . وقد تم الاتفاق على رسم بعضهـا ولا تزال اجزاء كثيرة لم يتفق على رسم حدودها السياسية بعد .

ـ اتصال دول شرقي شبه الجزيرة بالعالم الخارجي مما ساعد على تحديث أنماط الحياة ، كما ساعد على تحديث الادارات الحكومية أيضا .

زار مؤلف هذا البحث (J.E. Peterson) سلطنة عمان عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ولهذا تركزت الدراسة على سلطنة عمان دون غيرها من دول شرقي الجزيرة العربية .

في هذه الفترة ـ التي زار فيها المؤلف سلطنة عمان ـ كانت بداية النهضة وقد أخذت الدولة في رفع رداء العصور الوسطى الذي التزمت به في عهد السلاطين قبل عام ١٩٧٠ .

أما بعد الانتفاضة التي جاءت بالسلطان قابوس على عرش عمان أخذ السلطان الجديد في بناء التجهيزات الاساسية The Infra Structure مثل : الطرق والتعليم والصحة والماء والكهرباء وأخذ السلطان قابوس ايضا في اعتماده التنمية الاقتصادية للموارد المتاحة مما جعل السلطنة تستنفذ كل دخلها من البترول بل ويستدين ايضا من الدول العربية الصديقة والمؤسسات الدولية .

وتحققت اهداف الحكومة بل احلامها في بعث عمان جديدة : الانسان واللاند سكيب الحضاري معا جنبا الى جنب .

لقد اندفعت المدينتان التوأم « مسقط وعمان » في النمو والتوسع العمراني فنشأت ما تسمى بمنطقة العاصمة على امتداد ٣٠ كم من مسقط جنوبا الى مدينة السيب شمالا واصبحت تضم مدنا جديدة وموانىء جديدة تجارية وبترولية ومطار جوي عالمي وزاد سكانها من ٢٤ر٠٠٠ نفس الى أكثر من ١٢٠ر٠٠٠ نفس بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٩ .

وشمل التوسع العمراني مدينة صلالة التي يربو اتساع العمران فيها حاليا على سبعة امثال مساحة المدينة القديمة . وبنى بالقرب منها ميناء حديث . وارتبطت صلالة بجبال قرى بعدة طرق مبنية ليزداد تلاحم سكان السهل الساحلي او صلالة بأهل الجبال سكان مرتفعات قرى فتذوب الفوارق بينهما اجتماعيا وحضاريا .

وكذلك امتدت التنمية الاجتماعية والاقتصادية سائر اجزاء سلطنة عمان بعامة ، ومنطقة الباطنة والجبل الاخضر بخاصة .

ولكن التغير الذي طرأ على حياة هؤلاء السكان بعد البترول لم يبعدهم عن قيمهم العربية الاصيلة وتقاليدهم الاسلامية المجيدة .

الدكتور محمود ابو العلا

القبائل والسياسة
في شرقي شبه الجزيرة العربية

خلال الفترة القصيرة الماضية والتي تقدر بقرن من الزمان — أو نحوه — شهد شرقي الجزيرة العربية تطورا جذريا في مجال السلطة السياسية ، وبخاصة ذلك الاقليم الذي يضم في الوقت الحالي : البحرين وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان . ففي بداية هذه الفترة كانت القبيلة هي الوحدة السياسية الاساسية ، وحدة ذات طبيعة لا مركزية ، يسودها مفهوم المساواة . ونتيجة توافر عدد من العوامل ، اكثرها خارجي ، تحولت هذه البيئة على نحو مفاجىء ، وفي سرعة تتزايد يوما بعد آخر . ثم انتهى بها الامر الى الوضع الحالي ، الذي جاء نتيجة قيام عدد من الدول القومية ، أو ما يمكن أن نطلق عليها توخيا للدقة في بعض الحالات « **دويلات المدن** » ، بممارسة سلطتها السياسية ممارسة كاملة . وعلى الرغم من أن هناك قدرا من الاختلاف في الراي عمن هم أحق بالحكم في هذه الدول ، فليس هناك سوى قلة من الناس تنكر عليها مشروعيتها كدول ذات سيادة . كما يتضح لنا خلال هذه الفترة اعتماد هذه الدول على عدد من المؤسسات السياسية التي تم تشكيلها على غرار المؤسسات السياسية الغربية . وليس من شك في ان ظهور هذه التحولات السياسية قد كان مواكبا في ذات الوقت لافول سلطة القبائل ونفوذها .

ولقد كان من الضروري أن تتركز عملية التحول هذه حول أمرين ، **اولهما** : دعم المؤسسات القيادية ، **وثانيهما** : اعطاء هذه المؤسسات الصفة الشكلية . فقد كانت قيادة القبيلة موكولة الى شيخها (والشيخ في الاصل لقب شرفي يطلق على مسؤول القبيلة على سبيل التكريم ، ويحمل بين ما يحمل من معان التكريم والاجلال : كبير القوم وحكيمهم) .

** نشر هذا البحث في مجلة : صحيفة الشرق الاوسط ، المجلد ٣١ ، صيف ١٩٧٧ ، العدد ٣

وقد أصبح هذا الشيخ ، فيما بعد ، قائدا منتخبا وفقا لمفهوم « **الاول بين انداد** »(١) . وبمرور السنوات، اكتسب نفر من شيوخ شرقي شبه الجزيرة العربية مزيدا من السلطة والمهابة نتيجة لاعتراف البريطانيين بهم شيوخا متهادنين (Trucial Shykhs) وأخيرا اتخذ هؤلاء الشيوخ من لفظ « **الحاكم** » لقبا لهم ، ثم اتخذوا بعد ذلك لفظ « **الامير** » في عهد الاستقلال، ولفظ الامير يجمع بين صفات الحاكم والقائد الى جانب المفهوم التقليدي له ، اي سليل الاسرة الحاكمة . وعلى اية حال فلم يفد من هذه العلاقة المهادنة سوى فئة محدودة من زعماء القبائل . أما الكثيرون منهم فقد وجدوا أن سلطتهم آخذة في الزوال نتيجة لهذا الاعتراف باقرانهم ، كما انهم قد يشهدون عما قريب اختفاء ما لهم من وضع قيادي مستقل اختفاء كاملا .

ويأتي على نفس القدر من الاهمية مع ما سبق — في ما يختص بعملية التحول السياسي في شرقي شبه الجزيرة العربية — تلك **الازدواجية** بين « البدو » و « الحضر » والغلبة التدريجية للعنصر الاخير . ويعني المصطلح « **بدو** » كل ما يتبادر الى الذهن من معان تتصل ببدو الصحراء سواء اكانوا رعاة مترحلين أم زراعا مقيمين ، في حين يصدق المصطلح « **حضر** » على اي اقليم متحضر أو اي تجمعات سكانية مستقرة أو سكان المدينة . وعبر تاريخ هذه المنطقة هنالك من الشواهد ما يؤكد بأن العلاقة بين سكان البادية وسكان الحضر لم تكن بالعلاقة السوية ، فهي علاقة يسودها احساس بالحاجة المتبادلة ، كما يسودها في نفس الوقت احساس متبادل بانعدام الثقة . فعلى الرغم من اعتماد كل طرف على الاخر ، نجد أن كلا الطرفين يؤكد مزاعم التميز والتفوق على الاخر . وقد تركزت ثقافة الحضر ، في منطقة شرقي شبه الجزيرة — في عمان — في حين مالت أصول المجتمع الخليجي وتقاليده الى أن تكون امتدادا لتراث

---

١ — بالنسبة للمجتمع القبلي في شبه الجزيرة العربية ، كتب كاسكل ورنر : « لا يوجد في هذا الكيان القبلي زعيم رسمي ، ناهيك عما في قيادته من تدرج هرمي . لكن القائد القبلي يستطيع ان يكتسب صفة رسمية من اي طابع في حالة ما اذا تم تعيينه في منصبه أو تم تثبيته فيه من قبل سلطة غير بدوية . أما عن غير هذا الطريق فيعتبر قائدا قبليا يتم انتخابه او اختياره من بين من هم في مكانته ، اي « الاول بين انداده » . وعادة ما يتولى القائد القبلي امرة القبيلة عن طريق الوراثة ، وان كان يصل اليها في بعض الاحيان بجهوده الشخصية » عن مجلة American Anthropolgist ، ٥٦ / ابريل ١٩٥٤ ، من مقال للكاتب بعنوان : Bedouinization of Arabia

البدو . وربما كان في التطور التاريخي لكلتا المنطقتين ما يؤكد هذا الفرق الجوهري بينهما . ذلك أن دول الخليج لم تزدهر ككيانات سياسية مستقلة الا منذ عهد حديث نسبيا ، بينما يعتبر الاعتراف بسلطة مركزية شرعية ــ في عمان ــ تقليدا راسخا منذ أمد بعيد . وفي حين تنبع الثقافة الخليجية من الصحراء ، الى حد كبير ، نجد أن الثقافة العمانية قد نمت عبر تاريخ طويل لحياة زراعية متصلة سابقة على وفود القبائل العربية اليها * . ثم اكتملت هذه الثقافة عن طريق انتشار المذهب الاباضي العريق ، فقد اتخذت فرقة الاباضية من البلاد ملاذا حصينا ضد ما تلاحق عليها من غارات من جانب الغزاة المسلمين والاوروبيين على السواء .

وعلى الرغم من هذا التمييز النظري بين الثقافة الخليجية والثقافة العمانية فان القبيلة قد اخذت مكانها في كلتا المنطقتين كسلطة سياسية اساسية . وتتفاوت درجة التماسك داخل القبيلة تفاوتا شاسعا من قبيلة لاخرى . ففي جانب من جانبي الصورة القبلية نلاحظ أن هناك قبائل محكمة التماسك وهي تحت امرة تميمة قوى الشخصية ، يمارس سلطته السياسية على كل أقسام القبيلة . وعلى الجانب الاخر نلاحظ أن قبيلة ما لا تشكل بالفعل سوى تحالف ممزق الاوصال ، لكل سلطته الادارية الخاصة به . وعلى الرغم من أن القبيلة اما أن تكون مقيمة « حضرية » أو مترحلة « بدوية » فان القبائل الحضرية أكثر ميلا الى الالتفاف حول ادارة مركزية قوية ، بينما تنقسم القبائل البدوية ، بوجه عام ، الى وحدات عائلية مستقلة . ومع هذا ، فان وجود عدد من القبائل يحوي كلتا الفئتين ــ المقيمة والمترحلة ــ لامر يعقد هذه الملاحظة .

كما يتساوى في الاهمية مع ما سبق ان ندرك بأن السياسات القبلية تحكمها حالة من التغير . بمعنى أن تكون قبائل جديدة ليس بالامر المستغرب ، ولنا في قبيلة **البلوش** مثل على هذا . فهذه القبيلة ، المكونة من سلالة بلوشية ، تنتمي في الاصل لبلوشستان المتاخمة للساحل الايراني الباكستاني ، قد هاجر افرادها الى منطقة **الظاهرة** العمانية حيث اقاموا

---

* أظن انه لا يمكن الفصل بين الثقافة العمانية وبين القبائل العربية المقيمة فيها منذ اقدم العصور وهم الذين اضفوا عليها طابعهم الثقافي ، وان كان سهل الباطنة قد تاثر لفترات قصيرة بالغزو الفارسي وما نتج عنه من مؤثرات . (المراجع)

وكونوا وحدة قبلية مماثلة لجاراتها العربيات . ولنا مثل اخر في قبيلة بوشامس التي تقيم في اقليم البوريمي ، فهي لم تنفصل عن القبيلة الام ((**نعيم**)) الا منذ عهد قريب . أما العكس من هذا ، واعني ما يحل من تفكك بقبيلة ما كانت موجودة من قبل ، فليس أيضا بالامر المجهول ، كما هو الحال بالنسبة لقبيلة **بني ريام** التي تسكن الاقليم الجبلي لعمان . فعلى اثر فرار تميمتها في عام ١٩٥٩ ــ بعد أن أخفق التمرد الذي قام به ضد السلطان ــ فقدت بني ريام وضعها كواحدة من أقوى القبائل العمانية وانهارت تلك الزعامة التقليدية التي كانت تمسك بزمامها عشيرة **النباهنة**، مفسحة بهذا المجال امام تفكك القبيلة وانقسامها الى اثني عشر فرعا مستقلا أو أكثر .

وقديحدث التغير ، أيضا ، داخل قبيلة ما ، . فرب قبيلة قليلة العدد او ضعيفة نسبيا او غير قادرة على فرض سلطتها على اعضائها استطاعت تحت زعامة شيخ قوي أن تلم شعثها وتقوي من تنظيمها الداخلي وتبسط نفوذها على كل أرجاء ديرتها ، وربما وسعت من مساحتها . أما الوجه الاخر من العملة فيتمثل في ما قد يلحق بالوضع الكائن لاحدى القبائل من ضرر وهي تحت أمرة شيخ ضعيف . فالى جانب ما يتمخض عنه ضعفه من تقلص لمكانته بين عشائر القبيلة وربما تقلص حجم ديرته على يد احدى القبائل المجاورة ، فان هذا الشيخ يواجه امكانية الاقصاء من جانب أحد أقربائه الاقوياء ويحل محله في زعامة القبيلة ، والا فان البديل لهذا هو ان تقوم احدى العشائر المنافسة لعشيرته بانتزاع اعنة القيادة القبلية .

ومع أن أهم مؤثر طبعته السياسة القبلية على دول المنطقة الحديثة قد تمثل في تطور الاسر الحاكمة من خلال القادة القبليين ، فهنالك بالمثل مؤثرات قبلية أخرى لها وزنها . ذلك أن هنالك عددا من المفاهيم الاساسية المجسدة لحكومات شرقي شبه الجزيرة ــ قد قام على أساس من العرف القبلي . ومن هذه المفاهيم مفهوم **المجلس** ، وهو عبارة عن اجتماع دوري عام يؤهل الفرد العادي للوصول الى مجلس الحكم ، ويمنحه فرصة لرفع مظلمته ورد اعتباره له في الحال . وهنالك مفهوم آخر هو مفهوم **الشورى**، ويقصد بها عملية التشاور والتدارس التي تتم بين أعيان القبائل أو وجهاء المجتمع . وقد تجسدت هذه الفكرة (المفهوم) بصورة رسمية في معظم حكومات المنطقة من خلال المجالس التشريعية أو الاستشارية . وقد أسهم تجسد هذه المفاهيم في حكومات دول المنطقة باستمرارية وجودها في غمرة هذا التحول السريع .

● **تطور النظم القبلية في الخليج :**

لكي نتتبع النمو السياسي لدول الخليج ، يحسن بنا أن نقسم هـذه الفترة الى ثلاثة أطوار ، هي على وجه التقريب :

١ ــ ظهور عدد من القبائل القوية مع ما صاحب ظهورها من اقامة لعدد من المستوطنات ، نواة المدن الحالية ، على طول الساحل .

٢ ــ تزايد سلطات الحكم الفردي على يد عدد من شيوخ هـذه القبائل .

٣ ــ الظهور الفعلي لدول مرسمة الحدود في اطار دستوري .

وقد تحققت **الخطوة الاولى ، تمركز السلطة واقامة المستوطنات** ــ على يد تلك القبائل الاكثر تماسكا ، واظهارا للقوة ، وتطبيقا لمركزية القيادة واستعدادا للانتقال من وجود مترحل أو شبه مترحل الى بيئة أكثر أمنـا واستقرارا . وقد كان لتنقلات القبائل أسباب متعددة ، لكـن الدوافع الكامنة وراء هذه التنقلات ، وكذا عملية الانتقال ذاتهـا فأمور ينبغي أن تستوفى دراستها . وعلى أية حال ، فربما كان للتغيرات التي طرأت على وسائل الكسب دور أساسي في هـذه العملية ، كأن تتحـول القبيلة من التركيز على الرعي وزراعـة التمـر الى الصيـد والغوص على اللؤلؤ والاشتغال بالتجـارة التي تزايدت فرص العمل بها أخيرا . كمـا كانت تنقلات القبائل ، الى حد ما ، انعكاسا لنمط قديم يتمثل في تلك الهجـرات القبلية داخل شبه الجزيرة ، فقد كانت القبائل مضطرة الى السعي وراء الامن والاستقلال في مواقع جديدة نتيجة لمـا كانت تمارسه عليها قبـائل اخرى من ضغوط (٢) .

وقد كانت اقامة مراكز الاستقرار الساحلية في **المنامة** و **الدوحـة** و **ابو ظبي** و **دبي** وغيرها بمثابة نقلة لها مغزاها لعدد من الاسباب تتجاوز

---

٢ ــ من هذه الهجرات تلك التي قام بها آل خليفة ، الذين تنقلوا من الكويت الى شبه جزيرة قطر ثم استقر بهم المقام في البحرين ، خلال القرن الثامن عشر . انظر : تاريخ شرقي شبه الجزيرة العربية (١٧٥٠ ــ ١٨٠٠) تاليف : د. احمد مصطفى ابو حاكمة ، مكتبة خياط ــ بيروت ١٩٦٥ .

مجرد ذلك الاستيطان الطبيعي البسيط . ذلك ان اختيار مركز جغرافي دائم قد أسفر عن نوع من التكيف بين القبيلة ومستوطنتها . زد على ذلك، فان هذا الانتقال البسيط من ثقافة بدوية الى ثقافة حضرية تطلب بالمقابل مزيدا من الاعتماد على سلطة سياسية أقوى . في هذا الوسط ، كانت النتيجة النهائية تقوية المفهوم الخاص بالاحتفاء بمبايعة القائد القبلي — وتعني مبايعة القائد : اظهار الخضوع والولاء له والاعتراف به سيدا على القبيلة . كانت هذه ، اذن ، خطوة مبكرة في عملية تحول القيادة من صورة **شيخ قبلي** الى صورة **نصير** يذود عن كيان محدد المعالم ثم الى **حاكم** ثم الى **أمير** . وفي نفس الوقت ، تحولت العشائر المشيخية لتلك القبائل المهيمنة على تلك المستوطنات النواة — الى عائلات اريستوقراطية غدت فيما بعد العائلات الحاكمة في كل امارة من تلك الامارات (٣) .

وفي نفس الوقت ، باشر الشيوخ المهيمنون الاضطلاع بمسؤوليتهم المتزايدة يوما بعد اخر ، حيال كل اعضاء القبيلة ولو أن بعض رجالها كانوا منفصلين عنها انفصالا طبيعيا .. بالاضافة الى هذا فقد سعي هؤلاء الشيوخ الى كسب تأييد القبائل لمركزهم عن طريق تدعيم التحالفات القبلية الموجودة ودمجها في اتحادات دائمة ، وهو النهج الذي برع في السير عليه شيوخ أبو ظبي (٤) . وأخيرا فان الانتقال الى المستوطنات الساحلية قد فتح الطريق لاتصال أكبر بالعالم الخارجي ، وربما كان لهذا الاتصال أثر في تشجيع تبادل الافكار مع العالم الخارجي واضعاف التمسك

---

٣ — تطرق بيتر لينهاردث للدور الرئيسي الذي لعبته هذه الاسر في مقال له بعنوان : سلطة شيوخ الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر ، نشر في مجلة Arabian Studies ، المجلد الثاني ، ١٩٧٥ : ص ٦٣ — ٦٤ .

٤ — ينتسب هؤلاء الشيوخ الى آل بو فلاح — وهي احد فروع قبيلة بني ياس . وقد كان أبو فلاح يعيشون بصفة أساسية في واحة اللواء (الجيوة) الواقعة في جنوب شرق مدينة ابو ظبي . وفي هذه الواحة كان بنو ياس والمناصر يتقاسمان العيش في سلام — منذ أمد بعيد — في المستوطنات المقامة في هذه الواحة . وبفعل الروابط الوثيقة التي اقامها بنو فلاح مع الظواهر ، قوي نفوذ شيوخ أبو ظبي في هذه المنطقة . ثم ازداد نفوذهم قوة بعد التايد الذي تلقوه من قبيلة العوامر واسعة الانتشار . انظر البحث الذي كتبه ج. ب. كيلي ، حول القبائل والسياسة والدين في عمان وعمان المتهادنة ، وهو البحث الذي ضمنه درك هوبود كتابه : Arabian Peninsula : Society and Politics (شبه الجزيرة العربية : المجتمع والسياسة) ، لندن : جورج ألن وأنوين ، ١٩٧٢ ص ص : ١٣٧ — ١٤١ .

بالتقاليد والعادات الموروثة . ولا بد من الاشارة الى أن هناك عـــدة استثناءات لها أهميتها بالنسبة لهذا الرأي الذي سقناه على نحو تعميمي على تطور المستوطنات الساحلية . وأول هذه الاستثناءات هـــو ذلك التقليد البحري الذي كان متبعا في موانىء الساحل كميناء **رأس الخيمة** (جلفار سابقا) وميناء **خور فكان** — (هنالك من الاراء ما يرجح بأن الملاح العربي ابن ماجد الذي كان مرشدا لفاسكودي جاما في رحلاته عبر المحيط الهندي — كان من مواطني رأس الخيمة (٥)). وثانيها هو تلك المستوطنات الزراعية الواقعة في شمالي جزيرة البحرين التي يسكنها البحارنة (٦) . ومع هذا فقد تلاشت الفوارق بين تلك التقاليد التي كانت تتبع من قبـل قلة من السكان وبين انماط الاستقرار الحديثة التي كانت تمارسها كثرة من السكان ، والمذكورة فيما سبق . وقد جاء تلاشي هذه الفوارق نتيجة قدوم الاوروبيين ورد الفعل العربي الذي تمخض عنه هذا التطور .

أما المرحلة الثانية — تركز السلطة في أيد فئة من الشيوخ — فترجع في قدر كبير منها الى ما مارسه البريطانيون من نشاط في الخليج خـلال المائة والخمسين عاما الاخيرة . فقد ظهـرت السيادة البريطانية على الساحل الجنوبي لشرقي شبه الجـزيرة العربية ، لاول مرة ، في بداية القرن التاسع عشر ، ابان أن فرضت القيود البحرية على السكان العرب بحجة القضاء على **القرصنة البحرية** (كما تصورها البريطانيون) ، وعلى **تجارة الرقيق** . وقد وصل فرض هذه القيود في نهاية الامر — الى حـد حظرت معه الحرب البحرية على العرب ، وهو الحظر الذي تم التصديق عليه في معاهدة **السلم البحري الدائم** عام ١٨٥٣ . وقـد جاءت شبكة الاتفاقيات المهادنة التي دبجتها هذه المعاهدة نتيجـة لاقتناع البريطانيين بأن الشيوخ المتزعمين لهـذه المستوطنات (الشيـوخ المتهادنون) كانوا بالفعل يمارسون سلطتهم السياسية على كل المقيمين فيهـا . وبعبارة أخرى ، كان وضع هؤلاء الشيوخ بالنسبة للبريطانيين أقرب الى وضـع

---

٥ — انظر مادة شهاب الدين أحمد بن ماجد ، دائرة المعارف الاسلامية ، ط ١ المجلـد الرابع ، ص ص : ٣٦٢ — ٣٦٨ .

٦ — البحارنة الاسم الذي يطلق على سكان البحرين الاصليين ، وهم خليط من العرب والفرس ، ويتبع البحارنة المذهب الشيعي ، في حين يتبع معظم عرب الخليج المذهب السني .

الحاكم منه الى وضع شيخ القبيلة (٧) . ومع أن هؤلاء الشيوخ قد حققوا بهذه الاتفاقيات شيئا من الاعتراف بما لهم من سلطة سياسية (من قبل البريطانيين) ، فلم تحقق لهم هذه العلاقة المهادنة أية فائدة فيما يتعلق بوضعهم الداخلي ، حتى بعد مضي وقت طويل عليها . لذا فقد ظل مركز كل شيخ من هؤلاء الشيوخ ، بالنسبة للسكان الاصليين ، معتمدا على ما يظهره من براعة في كسب تأييد القبائل له .

أما المرحلة الثالثة ، وهي **المرحلة التي نمت خلالها دول مرسمة الحدود** ، فقد بدأت مع اهتمام البريطانيين بالساحل العربي وتورطهم في شؤونه على نحو متلاحق . فقد عد الشيوخ المتهادنون — من قبل البريطانيين — مسؤولين عن جميع المجتمعات القبلية الواقعة في حوزتهم، مما ساعد على تحولهم من مجرد شيوخ منتخبين وفقا لمفهوم « الاول بين انداد » الى حكام يحكمون حكما مطلقا . كما أن وضع هذه المستوطنات تحت الحماية البريطانية في التسعينات الاولى من القرن الماضي لم يخلع على الموقف البريطاني حيال الشيوخ المتهادنين صفة الرسمية وحسب ، بل خلع على مفهوم المشيخة بالمثل وضعا قانونيا ، فقد تضمن مفهوم المشيخة خلال هذه المرحلة وجود جنين **لكيان** محدد المعالم يرتكز جغرافيا على المستوطنة النواة شريطة أن تؤول السلطة السياسية فيه الى شيخ يحكمه حكما مطلقا ويضطلع فيه بقدر من المسؤولية حيال ديرات التجمعات القبلية التي تدين له بالولاء . ولعل مفهوم السيادة على منطقة محددة المعالم والمتضمن على النحو المذكور ، قد عزز بدوره اضفاء الشرعية على الشيوخ المتهادنين وعلى عائلاتهم . ومع هذا ، وعلى الرغم من ظهور المشيخة ، فان الاتفاق الذي بمقتضاه تحولت هذه المستوطنات الى مشيخات ، وبخاصة على الساحل المتهادن ، لم يتحقق الا منذ عهد قريب نسبيا . فلم يعترف بمدينة **كلبا** كمشيخة مهادنة الا خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٥١ . كما لم يعترف بمدينتي **رأس الخيمة والفجيرة** — وهما عضوان ضمن سبعة أعضاء في دولة الامارات العربية المتحدة — الا في عامي ١٩٢١ و ١٩٥٢ على التوالي .

---

٧ — كان مركز الشيوخ الموحدين — الوهابيين — في وسط شبه الجزيرة العربية ، أيضا ، اقرب الى مركز الحاكم منه الى مركز شيخ القبيلة . انظر لينهاردت في كتابه : The Authority of Shyks in the Gulf (سلطة الشيوخ في الخليج) ، ص ٧٠ .

وأخيرا فان الدافع لاعتبار هذه المشيخات دولا كاملة التكون ، قد جاء نتيجة التنقيب عن النفط وما ترتب عليه من حاجة ملحة الى ترسيم الحدود . فقد كانت مشيختا البحرين وقطر أول من منح امتيازات التنقيب في أوائل الثلاثينات من هذا القرن ، ثم بعد ذلك بوقت قصير ثم تأمين اتفاقيات التنقيب لمختلف مشيخات الساحل المتهادن . لكن التفاوض بشأن عقد هذه الاتفاقيات بين مختلف شركات التنقيب وبين المشيخات ، وما يترتب عليها من عقود ، كان يجري تحت مرأي من عين الحكومة البريطانية اليقظة . كما أن منح هذه الامتيازات من قبل الشيوخ المتهادنين كان يتم وفقا لاعتراف كلا الطرفين بسلطة هؤلاء الشيوخ ، كمجموعة ، على جميع الاراضي الواقعة بين ساحل الخليج والحدود المتاخمة لسلطنة مسقط عمان ، علما بأن حدود كل مشيخة على حدة لم تكن محددة بعد . وليس هنالك من شك في انه لولا تحسب وجود النفط في الاقاليم غير المرسمة الحدود ، وما تطلبه من ترسيم لها ، لظل الغموض الذي كان يكتنف مشاكل الحدود باقيا الى يومنا هذا .

ولعل أبرز مثل على ما واجه هذه المشكلة الشائكة من عقبات يتمثل في ذلك النزاع الطويل الذي احتدم بين السعودية والبريطانيين — باعتبارهم ممثلين عن المشيخات — حول الحدود السعودية مع كل من قطر وأبو ظبي (٨) .

---

٨ — يرجع تاريخ هذا النزاع الى بداية هذا القرن عندما كانت شبه الجزيرة العربية خاضعة للسلطان العثماني . وكان الخط الازرق ، عام ١٩١٣ ، هو أول محاولة لرسم حدود بين مشيخات الخليج واقليم نجد العثماني في هذا الوقت . وفي عام ١٩٣٥ اقترحت السعودية خطا اخر سمي بالخط الاحمر ، لكن الانجليز اعترضوا على هذا التقسيم ، وقدموا مقترحات اخرى في نفس العام تمثلت في الخط الاخضر ثم خط الرياض ، اللذين لم تقبل بهما السعودية . لمزيد من التفاصيل انظر المذكرات المتبادلة بين السعودية والمملكة المتحدة بشان التحكيم حول تسوية هذه النزاعات:

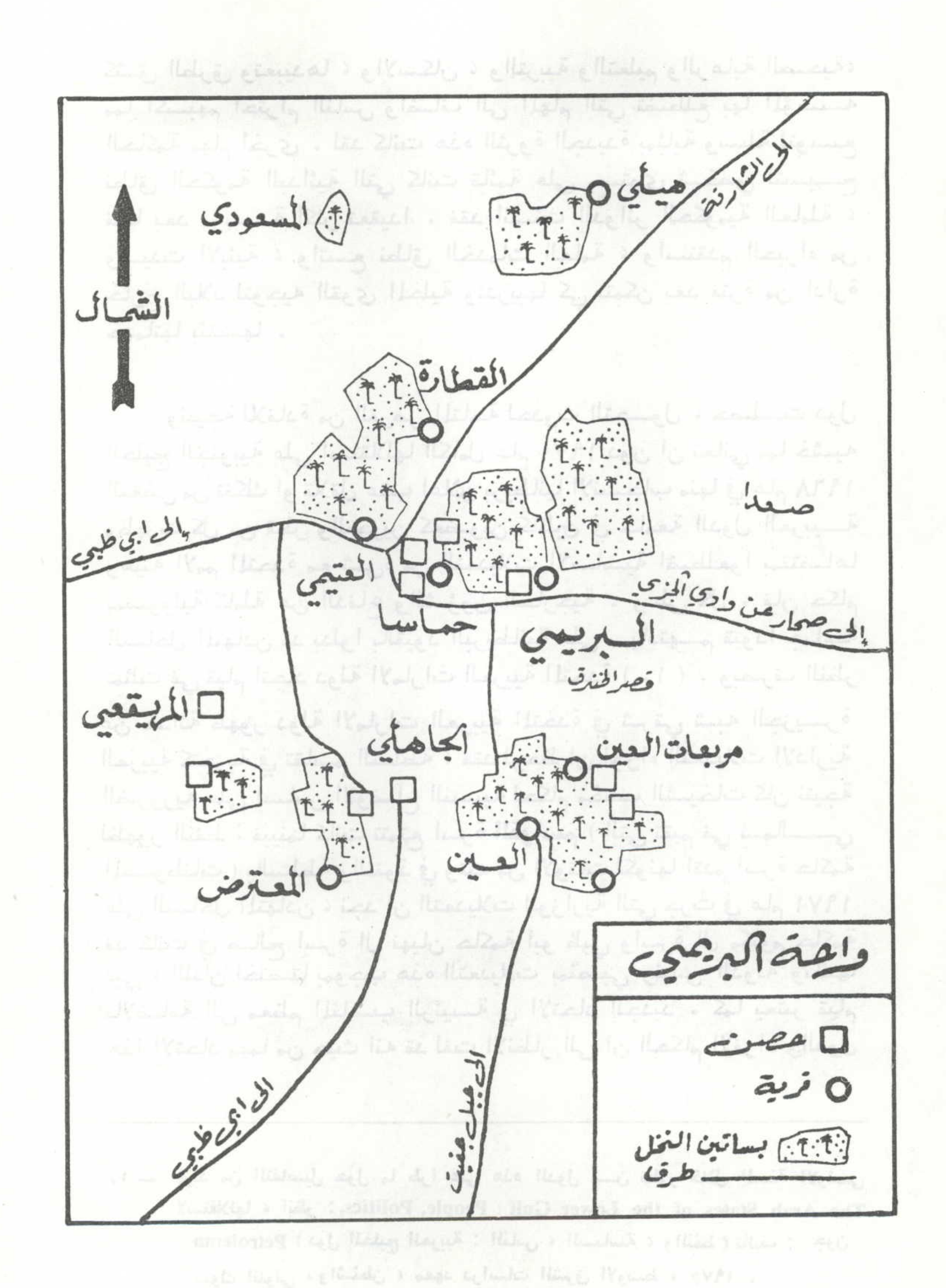
١ — بريطانيا العظمى : التحكيم الخاص بالبوريمي والحدود المشتركة بين أبو ظبي والعربية السعودية ، مذكرة مقدمة من حكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال ايرلندا (مجلدان ، لندن ، دار نشر HMSO ، ١٩٧٥) .

٢ — العربية السعودية : التحكيم الخاص بتسوية نزاع الحدود بين مسقط وأبو ظبي من جانب والعربية السعودية من جانب آخر ، مذكرة مقدمة من حكومة العربية السعودية (٣ مجلدات ، القاهرة ، ١٩٥٥) .

وقد أسفرت التوقعات المتزايدة بوجــود النفط في شمالي صحراء **الربع الخالي** ، في الخمسينات من هذا القرن — الى جانب عوامل أخرى — عن احتلال السعودية لجزء من واحة البوريمي الامر الذي عجل بظهــور ما عرف « **بأزمة البوريمي** » التي دخلت السعودية بسببها في صدام مــع كل من ابو ظبي وسلطنة مسقط وعمان . واتسع نطاق هــذا الصــدام ليشمل بريطانيين وأمريكيين . وقد تم اخراج القوات السعودية منالواحة في عام ١٩٥٥ اي في أعقاب انهيار الاجتماع التحكيمي الذي عقد في جنيف في أواخر العام المذكور . ومع أن اخراج السعوديين من الواحة هو الذي أوجد حلا للمشكلة على أساس الامر الواقع ، فان الاتفاق الرسمي الذي تم التوصل اليه بشأن الحدود مع قطر لم يتحقق الا في عام ١٩٦٥ ، كمــا لــم يتــم التوصل الــى اتفاق مماثل مع ابو ظبي الا في عام ١٩٧٤ . ومع هذا ، فقد كان على السعودية وعمان أن تتوصلا الى اتفاق على حــدود رسمية بينهما . والواقع ان مهمة رسم حدود للبلدين وسط متاهة مــن الجيوب الجبلية الواقعة على الساحل المتهادن تعد في حد ذاتها أمــرا مضنيا للغاية . وعلى الرغم من أن ادعاءات السيادة على المناطق المتنازع عليها قد سويت على يد المندوب البريطاني — جوليان ووكر — فلا تزال هناك ادعاءات أخرى لم تعرف بعد الطريق الى التسوية (٩) .

وعلى الرغم من معضلة الحدود هذه ، فقد مضت شركات النفــط قدما في أعمال التنقيب التي أسفرت في اخر الامر عن تدفق النفط في معظم المشيخات . ومن هذا المنهل الجديد تدفقت الثروة علــى المحظوظين من حكام تلك المشيخات الميمونة ، فاتخذوا منها وسيلة فعالة لتعزيز أوضاعهم الداخلية ، كما ساعدتهم على بسط نفوذهم واعلاء شأنهم بين القبائل على حساب حكام المشيخات غير المنتجة للنفط . وحتى قبل ان يظهر مردود الصادرات النفطية ، فقـد كان فيما يتلقاه هـؤلاء الشيــوخ من أموال الامتيازات النفطية المتواضعــة ما مكنهم من استخدام أسلوب الهبــات التقليدية في تعزيز مركزهم ونفوذهم بين القبائل . ومع بدء المدفوعات على صادرات النفط ، شرع هؤلاء الحكام في تبني برامج التنمية الاجتماعيــة الاقتصادية الطموحة. فلاول مرة تدخل المشيخة الخدمات العامة الاساسية

٩ — من هذه النزاعات ما حدث بين الشارقة ودبي في أواخر صيف ١٩٧٦ ، عندما أعلنت الشارقة عن عزمها اقامة مجمع تجاري يحمل اسم : مركز شارل ديجول التجاري — على قطعة أرض كانت دبي تدعي ملكيتها مع الشارقة .


الشمال
المسعودي
هيلي
الى الشارقة
القطارة
صعدا
الى ابي ظبي
العتيبي
الى صحار عن وادي الجزي
حماسا
البريمي
قصر الخندق
المريقعي
الجاهلي
مربعات العين
العين
المعترض
الى ابي ظبي
الى جبل حفيت
واحة البريمي
حصن
قرية
بساتين النخل
طرق

كشق الطرق وتعبيدها ، والاسكان ، والتربية والتعليم والرعاية الصحية، مما اكسبهم احترام الناس واضاف الى المهام التي تضطلع بها المؤسسة الحاكمة مهام أخرى . لقد كانت هذه الثروة الجديدة بمثابة وسيلة لتوسيع نطاق الحكومة البدائية التي كانت قائمة على مستوى شخصي لتصبح فيما بعد مؤسسة أكثر تعقيدا . فقد انشئت الدوائر الحكومية العاملة ، وشيدت الابنية ، واتسع نطاق الخدمات العامة ، واستقدم الخبراء من خارج البلاد لتوجيه القوى المحلية وتدريبها كي تتمكن بعد فترة من ادارة خدماتها بنفسها .

ونتيجة للافادة من الفرص المتاحة لحدوث التحـــول ، حصلـــت دول الخليج الجنوبية على استقلالها الكامل عام ١٩٧١ دون ان تعاني مما خشيه البعض من تفكك او تلاقل عقب اعلان بريطانيا الانسحاب منها في عام ١٩٦٨ وظهرت كل من قطر والبحرين كعضوين كاملين في جامعة الدول العربيـــة وهيئة الامم المتحدة مع شيء من التعديلات الاساسية اضطلعوا بمقتضاها بمسؤولية كاملة عن الدفاع والشؤون الخارجية . وعلى كل ، فان حكام الساحل المتهادن قد بدلوا بالقيود البريطانية على سيادتهـــم قيودا جماعية تمثلت في قيام اتحاد دولة الامارات العربية المتحدة (١٠) . وبصرف النظر عن حداثة ظهور دولة الامارات العربية المتحدة في شرقي شبه الجزيـــرة العربية كتجربة في تقاسم السلطة ، فقد لوحظ ان اجراء التعديلات الادارية الضرورية على اساس الاوضاع النسبية لحكام مختلف الشيخات كان نتيجة لظهور النفط : فبينما كانت تتمتع اسرة **القواسم** (التي تقيم في شمالـــي المستوطنات) بالسلطة والنفوذ في وقت من الاوقات لكونها اقدم اسرة حاكمة على الساحل المتهادن ، نجد ان التعديلات الوزارية التي جرت في عام ١٩٧١ قد كانت في صالح اسرة ال نهيان حاكمة ابو ظبي واسرة ال مكتوم حاكمة دبي ، اللتان اختصتا بموجب هذه التعديلات بمنصبي رئيس الدولة ونائبها بالاضافة الى معظم المناصب الرئيسة في الاتحاد الجديد . كما يعتبر قيام هذا الاتحاد مهما من حيث انه قد لفت الانظار الى ان الحكام الافراد والدول

---

١٠ ــ لمزيد من التفاصيل حول ما طرأ على هذه الدول مـــن تطور خلال السنة الاولـــى لاستقلالها ، أنظر : The Arab States of the Lower Gulf : People, Politics, Petroleum (دول الخليج العربية : الناس ، السياسة ، والنفط) تاليف : جون ديوك انتوني ، واشنطن ، معهد دراسات الشرق الاوسط ، ١٩٧٥ .

الضعيفة لا تقوى على مواصلة السير في دروب مستقلة ، بل هي في حاجة للتعاون من خلال كيان سياسي اكثر رحابة ، وهو الامر الذي تمثل في قيام دولة الامارات العربية المتحدة . (١١)

● النظام القبلي التقليدي للداخل العماني :

بعد ان تناولنا التطور السياسي لدول الخليج ، يبقى لزاما علينا ان نتتبع التطور السياسي لعمان على طول خطوط مختلفة اختلافا جوهريا . فالتجربة العمانية السياسية قد تشكلت عن طريق عاملين اولهما : الدور الذي قامت به الاباضية في خلق مجتمع عماني متميز ، وثانيهما الطبيعية الازدواجية للتحالفين القبليين : الهيناوي والغافري . وعلى الرغم من ظهور الاباضية ــ وهي احد الفروع المعتدلة في مذهب الخوارج ــ في مدينة البصرة فان العمانيين قد تشيعوا لها وظاهروها وهي لا تزال في بداية عهدها . وقد قامت اول دولة اباضية في عمان ، بزعامة امام اباضي ، خلال القرن الثامن الميلادي . وبذا لم يكتسب الداخل العماني هوية مجتمعية ودينية متميزة وحسب ، بل تزود بمؤسسة سياسية مركزية ذات طابع اداري خاص . وقد كان الامام هو محور هذا النظام السياسي الديني ، وقد كان يجري اختيار الامام على غرار ما يتبع في تقلد شيخ القبيلة منصبه ، مع الاخذ بمفهوم **« الاول بين أنداد »** . وقد اسفر الاخذ بنظام الامامة عن تقليد ديموقراطي ــ وقد كان هذا التقليد اقرب مايكون الى الديموقراطية الفوضوية ــ تمتعت معه كل قبيلة على حده بقدر من الاستقلال الذاتي وحرية الحركة .

---

١١ ــ بقيت مشيخة القاسمي في رأس الخيمة بمعزل عن الانضمام للدولة الجديدة ، في بداية عهدها ، على أمل أن يتدفق فيها النفط . لكن هذه الوقفة الاستقلالية لم تدم سوى ثلاثة أشهر عندما لم يسفر التنقيب عن وجود للنفط . ثم اضطرت الى الانضمام الى دولة الاتحاد دون أن تحصل على شيء مما اشترطته من قبل كي تنضم الى الاتحاد . لمزيد من الاطلاع ، أنظر The Union of Arab Amirates (اتحاد الامارات العربية) بقلم : جون ديوك انتوني ، مجلة Middle East Journal ٢٦ رقم ٢ ، ص ص : ٢٧١ ــ ٢٨٧ .

ونتيجة لهذا النظام الديني السياسي الطارد (Centrifugal) أن تميز تاريخ عمان ــ خلال العهد الاسلامي ــ بسلسلة من الحلقات التاريخية التاليـــة :

- توحُّد القبائل تحت إمرة امام قوي .

- بعد وفاته ، يتولى الحكم عدد من الائمة العلمانيين فيمتد النفوذ العماني على أيديهم الى ماوراء البحار ، الى شرقي افريقية بصفة اساسية .

- انهيار سلالة اؤلئك الائمة نتيجة لنشوب الحروب الاهلية بينهم بسبب الصراع على منصب الامام .

- في آخر الامر تبدأ حلقة جديدة بانتخاب شخصية قوية التدين اماما للبلاد .

وقد تغير هذا النظام في اخر الامر نتيجة تغلغل النفوذ البريطاني وتزايده في عمان .

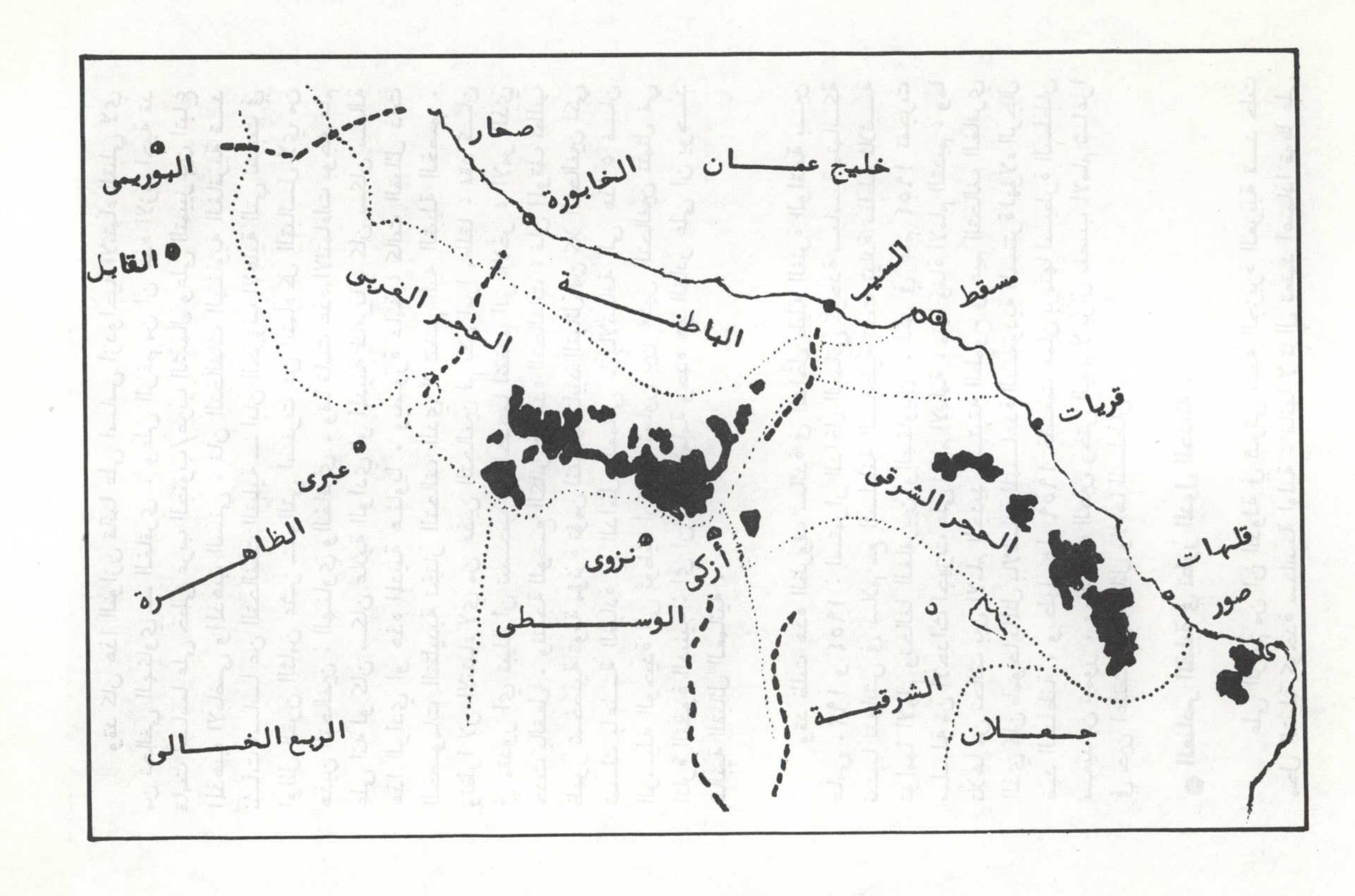
وقد سارت على هذا النظام اسرة **آل بو سعيد** ــ التي حكمت عمان في منتصف القرن التاسع عشر عندما انشغلت عن السياسة القبلية الداخلية باقامة امبراطورية بحرية عمانية . وبعد وفاة سعيد بن سلطان ــ وقد كان أقوى حكام هذه الاسرة ــ فقد آل بو سعيد ، تدريجيا ، سلطتهم على جميع الاراضي العمانية اللهم الا شريطا ساحليا ضيقا ، وذهبت كل مطالبهم بالزعامة الشرعية ادراج الرياح بزوال منصب الامام في عام ١٧٨٤ م . وفي اوائل القرن العشرين برزت فكرة اقتسام السلطة بايعاز من البريطانيين الذين أيدوا حق سلاطنة آل بو سعيد في السيطرة على الساحل ، مع وجود امامة قبلية في الداخل لتصريف شؤون الداخل العماني . وقد تم تحديد هذه الامور عام ١٩٢٠ في الاتفاق المعروف « باتفاق السيب » ، وهو الاتفاق الذي تفاوض بشأنه المندوب السامي البريطاني مع الاطراف المعنية بالصراع ووقع عليه ممثلو السلطان وعدد من وجهاء القبائل المهمة . وبمقتضى هذا الاتفاق اعترف السلطان بالادارة الذاتية الموجودة من الداخل . وبذا ترك الداخل العماني لنظام توازن القوى تحت اشراف مخلخل من قبل الامام الاباضى .

وقد كان هذا التوازن قائما على اساس ازدواجية الانتماء القبلي لاي من تحالفي الهناوي ـــ الغافرى . وعلى الرغم من ان هذه الازدواجية قد قامت اساسا على خطى عرب الجنوب/عرب الشمال وعلى التمييز بين اتباع المذهب الاباضي والمذهب السني ، فان التحالفات الهناوية الغافرية قد نشأت اساسا عن التحالفات القبلية ـــ ابان الحروب الاهلية التي نشبت في اوائل القرن الثامن عشر ـــ والتي اسفرت عن انتماء كل القبائل لاي من هذين التحالفين : الهناوي والغافري . وقد قامت هذه الانتماءات بوجه عام على أنه لو كان سكان علاية الوادي او المدينة غافريا ، كان سكان سفالة هذا الوادي او هذه المدينة هناويا . وبصورة عامة ، كانت القبائل ذات الخصومات التقليدية تختار التحالف الذي لا تنضم اليه القبيلة الخصم . ونظرا لان الانتماء لاي من هذين التحالفين لم يكن امرا مطلقا ، فقد كان في مقدور اي قبيلة أن تنسحب من احدهما لتنضم الى الاخر ، الامر الذي حدث بالفعل . ونتيجة للوضع الكائن في هذه التحالفات ، فان الموقف تطلب ظهور شخصية قوية مؤثرة تؤمن لنفسها تأييد القبائل من كلا التحالفين لكي تمسك بأعنة القيادة في الداخل العماني . بالاضافة الى هذا ، فان الوسيلة الوحيدة الى توطيد أركان التعاون بين هذين التحالفين تتمثل في اثارة النخوة الدينية : أي أن رمز الامامة وحده هو القادر على ان يوحد غالبية القبائل العمانية .

وقد ظلت هذه الظروف سائدة في الداخل طيلة الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٥٤ : استمرار الداخل العماني كوحدة سياسية متماسكة نسبيا تتعايش في سلام مع السلطنة الساحلية تحت قيادة سلطة ثلاثية قوامها الامام وتحالفا الغافريين والهناويين . لكن في عام ١٩٥٤ تفجرت سلسلة من الاحداث اجهزت على نظام الامامة ، منها وفاة الامام القديم ، وما تلاها من تحالف بين الامام الجديد وشقيقه الطموح وزعيم التحالف الغافري الذي كان طموحا بالمثل بالاضافة للمساعدة السعودية المستترة لهؤلاء الرجال ضد السلطنة . وبحلول عام ١٩٥٩ خضعت عمان برمتها لسيطرة السلطان سعيد بن تيمور . ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم لا يزال منصب الامام شاغرا في حين اعلنت كل القبائل ولاءها للسلطان .

● العناصر القبلية في تطور الدول الحديثة :

على الرغم من ان الدولة في شرقي شبه الجزيرة العربية قد حلت محل القبيلة كوحدة سياسية اولية ، فانها لا تزال تعتمد اعتمادا قويا على



صحار
البوريمي
القابل
خليج عمان
الخابورة
السيب
مسقط
الحجر الغربي
الباطنة
قريات
عبرى
الظاهرة
نزوى
أزكى
الوسطى
الشرقي
الحجر
قلهات
صور
الشرقية
جعلان
الربع الخالي

عدد من مكونات النظام القبلي . ومن أهم هذه المكونات واكثرها وضوحا « **الاسرة الحاكمة** » التي يعتبر وضعها السياسي وضعا مطلقا . فالاسرة الحاكمة هي التي تزود السلطة السياسية بمنصب « الحاكم » ومنصب « ولي العهد » الذي يعتبر ، بوجه عام ، **نائبا للحاكم** . كما يحتل عدد اخر من افرادها المناصب الوزارية ، الرئيسية بالاضافة الى تولي قيادة القوات المسلحة بغية الابقاء على السلطة المطلقة داخل نطاق الاسرة ، هذا من ناحية ، وارضاء لطموح ذوي القرابة القريبة من ناحية اخرى ، مخافة التحريض على القيام بانقلابات سياسية ضد الاسرة . ففي عام ١٩٥٤ شغل افراد اسرة **آل خليفة** (في دولة البحرين) ستة مناصب وزارية في حكومة قوامها ١٣ وزيرا ، في حين استأثر افراد اسرة **آل ثاني** (فيدولة قطر) تسعة مناصب وزارية في حكومة قوامها ١٤ وزيرا . اما في دولة الامارات العربية المتحدة فقد كان توزيع المناصب الوزارية ذا حساسية خاصة نظرا لتعدد افراد الاسر الحاكمة الواجب وضعها في الاعتبار عند تشكيل الحكومة . فقد احتل اعضاء الاسر الحاكمة الممثلة للمشيخات السبعة اثني عشر منصبا وزاريا وذلك في الحكومة التي شكلت في عام ١٩٧٣ من ٢٨ وزيرا . أما الحكومة التي شكلت في عام ١٩٧٧ من ٢٣ وزيرا فقد اختصت الاسر الحاكمة بسبعة منها . (١٢) لكن اهم المناصب اسندت الى اسرتي : **آل نهيان** (ابو ظبي) وآل مكتوم (دبي) ، بما في ذلك منصبا الرئيس ونائبه . وفي عمان احتل اقرباء السلطان — المعروفون بآل سعيد — ثلاثة مناصب في الحكومة المشكلة من ١٧ وزيرا ، كما احتل عدد آخر من اعضاء الاسرة منصبين وزاريين اضافيين وزيادة على ذلك ، فقد كان من بين الولاة — الذين يزيدون على الثلاثين — كثير ممن ينتمون الى فروع بعيدة لاسرة آل بو سعيد ، والى جانب تركز المناصب السياسية الكبيرة في اعضاء الاسر الحاكمة في هذه المنطقة ، فقد تمتع افرادها ايضا بمكانة اجتماعية رفيعة نظرا لما هم عليه من ثراء نسبي واهتمام بتحصيل العلم وما حققوه خلال السنوات الاخيرة من صلات تجارية .

وتكمل هذه الصفوة من الاسر الحاكمة ، مجموعة ثانية من الصفوة قوامها رجال العشائر المشيخية بكبريات القبائل . ولقد تأكد ولاء هذه العشائر للدولة ولحاكمها عن طريق ما يخلعه عليها الحاكم من هبات ،

---

١٢ — الى جانب المجلس الوزاري للاتحاد ، تحتفظ معظم الدول الاعضاء بمجلسها الوزاري الخاص .

وتبادل المصاهرة مع الاسرة الحاكمة ، وتوزيع المناصب الكبرى عليهم وبخاصة مناصب الوزراء والسفراء . كما بادرت فئة من هذه الاسر الى الافادة من النشاط الاقتصادي الذي تزايد خلال العقود الاخيرة بأن اقاموا انشطة تجارية وحصلوا على تراخيص من الحكومة لاستيراد المنتوجات الاجنبية . وخير مثل على هذه الاسر اسرة **عطية** القطرية . فأحد اعضاء هذه الاسرة يشغل منصب وزير الاشغال العامة ، كما يشغل اخر منصب نائب رئيس الاركان العامة للجيش في حين يشغل اخرون عددا من المناصب الدبلوماسية . ذلك لان هذه الاسرة ترتبط مع أسرة **آل ثاني** الحاكمة بعدد من الزيجات ناهيك عن كونها جزءا من المجتمع التجاري القطري . وفي عدد اخر من دول المنطقة يخصص عدد من المقاعد في المجالس الاستشارية لممثلي القبائل الكبيرة والاسر التجارية . وعلى الرغم من ان هذه المؤسسات تضفي على اعضائها قدرا من المهابة ، فان امكاناتهم السياسية والدستورية لاتزال محدودة . وقد شكل ممثلو القبائل في المجلس الوطني الاستشاري (في أبو ظبي) — وهو المجلس الذي لم يدم طويلا — اغلبية الاعضاء البالغ عددهم خمسون عضوا .

هذا ، وقد اضحى عدد من القبائل مصدرا مستديما لامداد الدولة بالجند . وشغل كثير من رجال القبائل البدوية وظائف الخفارة الليلية . أما الموقف بالنسبة لعمان فهو اكثر تعقيدا مما هو عليه في الدول التي ذكرنا ، ذلك ان تمثيل كبريات قبائل الداخل في حكومة السلطنة يرجع تاريخه الى عام ١٩٧٠ وحسب . أما فيما قبل هذا التاريخ فقد كانت اعنة السلطة كلها في قبضة السلطان باستثناء ذلك النزر اليسير الذي عهد به لفئة محدودة من الموظفين قوامها خليط من الانجليز والهنود ورجال القبائل . وتغير هذا الموقف كلية بعد عام ١٩٧٠ بأن حل محله نظام اخر اعتمد في تدبير امور الدولة على عدد اكبر من الموظفين من مختلف الطوائف والانتماءات القبلية .

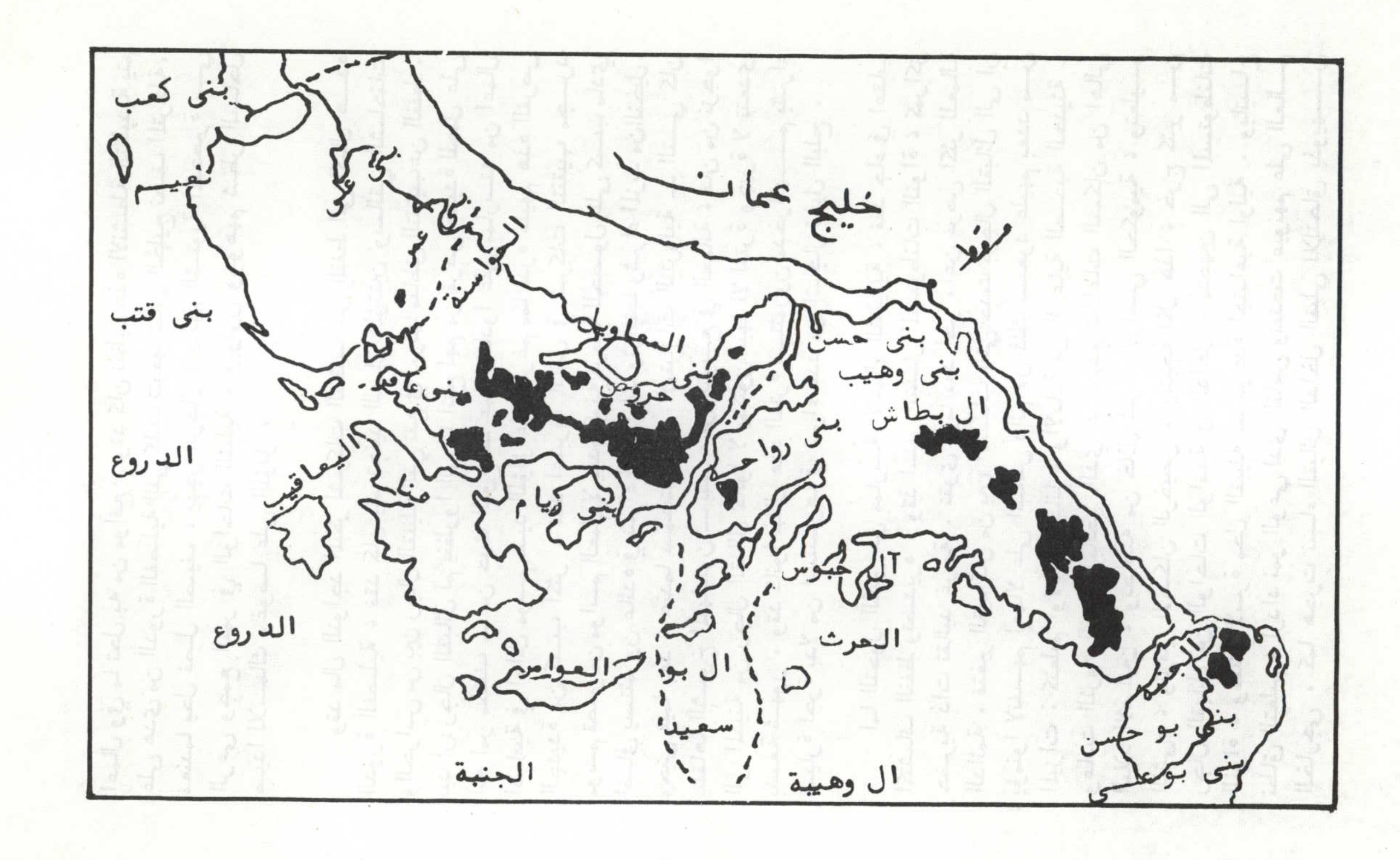
● انحسار المجتمع القبلي :

ما كادت الوحدات السياسية الحديثة — جنبا الى جنب مع عملية التحول الاقتصادي الاجتماعي — تغذ الخطى على طريق التطور ، حتى اخذت القبلية في شرقي شبه الجزيرة العربية — كقوة سياسية واقتصادية واجتماعية — في السير نحو الاضمحلال . فقد كانت انماط العمل في الماضي ترتبط ارتباطا وثيقا بالقبيلة ، وتنحصر في ما تمارسه القبيلة من

اعمال وفي ما تحل به من مواقع . وقد كان تنظيم هذه الانشطة التقليدية يتم على هدى من الدورة الفصلية التي كانت تتبعها قبائل الخليج نصف المترحلة. فعندما يحل فصل الصيف ، يهجر الرجال اعمالهم الشتوية المنحصرة في الرعى وجمع التمر في الواحات القبلية ، ويولون وجوههم شطر الساحل صيدا للاسماك وغوصا على اللؤلؤ .

وقد مال التواجد المبكر لشركات التنقيب عن النفط الى اكمال هذه الدورة الفصلية ، فقد كان يتم تجنيد العمال المؤقتين وسائقي الشاحنات والحراس من بين رجال القبيلة التي تقع في ديرتها مناطق التنقيب عن النفط . بيد ان رجال القبائل لم ينظروا الى ما اتيح لهم من فرص جديدة للعمل على انه امر مختلف – من حيث النوع – عما اعتادوا على ممارسته من أعمال اضافية في اوائل موسم صيد اللؤلؤ على الرغم مما تدره عليهم هذه الفرص الجديدة من كسب اكثر . فقد اعتبروا العمل في شركات التنقيب مجرد موسم قصير من مواسم العمل لا يعدو كونه فرصة للحصول على كسب مادي اضافي يستثمرون عائده في شراء الحيوانات وتربيتها وشراء المزيد من النخيل. وحتى فيما بعد ، عندما سمحت اموال الامتيازات البترولية – التي كان يتلقاها الشيوخ المتهادنون – بشيء من التوسع في العمالة ، فان من نزحوا الى المدينة من رجال القبائل كانوا لا يمكثون فيها الا لفترة وجيزة لا تتعدى بضعة شهور . وقد كانوا خلال هذه الفترة يستثمرون مدخراتهم بشراء سيارة اجرة بدلا من استثمارها في شراء عدد من اشجار نخيل البلح .

اما التحول الكبير عن ممارسة الاعمال التقليدية ، فقد جاء في أعقاب اكتشاف النفط وتصديره . وقد اسفر انتشار المستوطنات النواة ، كمراكز حضرية ذات تقاليد غربية . تقوى يوما بعد اخر ، عن فرص اكثر للعمالة الدائمة . فتغير القيم كان من بين الاسباب التي حدت برجال القبائل الى ان يؤمنوا لانفسهم اعمالا على اساس دائم لان ذلك سيعود عليهم بعدد من الميزات : كتعليم اولادهم مجانا ، والافادة من الرعاية الصحية الحديثة . وعادت الثروة النفطية بالخير الذي عم جميع قطاعات السكان من اهالي البلاد الاصليين ، وبخاصة من خلال شراء الاراضي الحكومية ، وتعليم النشء ، وتوفير الاسكان الرخيص . ونتيجة لكل هذا ، خرج كثير من رجال القبائل من الواحات الواقعة في الداخل ، متجهين الى المستوطنات النواة ، وحلت الاسرة محل القبيلة – كوحدة اجتماعية اولية . وباتساع نطاق التعليم ، ازداد نمو الوعي لدى الناس وتفتحت عيونهم على العالم الخارجي . كما هجرت نساء القبائل الداخل القبلي للالتحاق بذويهن


بنى كعب
نعيم
بنى قتب
الدروع
الدروع
خليج عمان
صور
بنى حسن
بنى وهيب
ال بطاش
بنى رواحة
الجبوس
الحرث
ال بو سعيد
العوامر
الجنبة
ال وهيبة
بنى بو حسن
بنى بو على
اليعاقيب
بنى ريام
المعاول

الذكور المقيمين في المدن : وبذا اتسعت افاقهن الاجتماعية ، واتيحت لهن فرص التعليم ، ودخلن باب العمالة والنشاط الاجتماعي من خلال فرجة صغيرة فيه سمح لهن المجتمع بالمرور من خلالها .

ولعلنا نجد في قبائل **الدروع** مثلا على ما طرأ من تغيرات بعيدة المدى على السياسة القبلية بفضل الانشطة التي كانت تمارسها شركة التنمية النفطية في عمان . وقبائل الدروع من تلك القبائل البدوية التيتحتل مضاربها مساحة شاسعة تقع بين صحراء الربع الخالي والمناطق المعمورة في اقليم الظاهرة في عمان (١٣) وشأن كل القبائل البدوية ، كان التنظيم القبلي بين قبائل الدروع ، في الماضي ، في غاية التفكك . وعلى كل ، فبعد ان بدأت شركة التنمية النفطية العمانية PDO عمليات التنقيب في مناطق الدروع في اواسط الخمسينات من هذا القرن ، بدأ النسق السياسي للقبيلة يتخذ شكلا مشابها لدور البديل المحلي **لنقابة عمالية** . ذلك ان كل القوى العاملة المحلية في جميع فروع الشركة كان لا بد من تجنيدها من قبائل الدروع ، وتم توظيف مشايخ عشيرة **المحاميد** ، وهي العشيرة الرئيسة في هذه القبائل ، على انهم البدائل العرب « لمكاتب توريد العمال » كما تم الاستعانة بهم « كملاحظين على افراد القوى العاملة » في مواقع التنقيب منعا لتسرب غير المرخص لهم بالعمل الى هذه المواقع . وقد تمخض عما احتدم في عشيرة **المحاميد** من صراعات داخلية بين الشيوخ على العمل ان ادخلت الشركة نظاما يتناوب على اساسه ثلاثة من ابرز شيوخ العشيرة الاشراف على العمل ، وكل شيخ يتولى عملية الاشراف هذه لمدة ثلاثة شهور بالتناوب . بيد ان هذا النظام لم يثبت فعاليته ، فأصبح دور « الشيخ المناوب » ، بحلول عام ١٩٧٠ ، قاصرا على الاشراف على الاطراف النائية في حين تم شغل وظائفهم في الاماكن التي تركوها عن طريق « موظفي اللجنة الممثلة » .

كما اسهم نمو السلطة الحكومية وانتشار هيئات الخدمات بالمثل في انحسار القبلية ، وذلك بانتزاع ما كان موكولا للقبائل من مهام . وشيئا فشيئا ، أخذت سلطة مختلف الشيوخ المتهادنين تزداد قوة على طريق الحكم الفردي المطلق . فما ان غدوا اقوى شيوخ الديرة ، حتى بسطوا نفوذهم على جميع القبائل وكذا على كل المقيمين بالمشيخة من غير القبليين . فقد

---

١٣ — اعتمدت في المناقشة الخاصة بقبائل الدروع على دراسة غير منشورة اعدتها شركة تنمية النفط العمانية عام ١٩٧١ .

انشئت الدوائر الحكومية كي تنهض بالاعمال والوظائف التي كان يشغلها القادة القبليون من قبل . وانشئت دور القضاء ودونت القوانين وفقا للنظم الغربية المؤكدة للمسؤولية الفردية ، مما ادى الى تقليص دور العـــرف (القانون القبلي) الذي يؤكد على المسؤولية الجماعية . وفي بادىء الامر تمثل هذا التوسع الاداري في زيادة عدد الدوائر الحكومية وعدد المستشارين الذين كانوا تابعين للحاكم مباشرة ، على الرغم مما شهده العقد الاخير من ادخال للمؤسسات الدستورية كمجلس الوزراء والمجلسين التشريعـــي والاستشاري (احدهما او كليهما) في جميع دول المنطقة .

وشيئا فشيئا اضمحل نفوذ الشيوخ غير المهادنين . وتوقف دورهـــم كوسطاء بين الرعية والحاكم وبين الرعية وأعضاء شيوخ القبيلة وحل محله انشاء الدوائر الحكومية ذات الصلة المباشرة بالجماهير : كالمحاكم ومجالس البلديات ، والمستشفيات ، والمستوصفات ومشروعات شق الطرق ،والتنمية الزراعية ، وعلى الرغم من سير عمان على هذا النهج ، وبخاصة بعد عام ١٩٧٠ ، نجد ان الموقف فيها مختلف نظرا لتمتع الداخل العماني بحكـــم ذاتي منذ زمن بعيد . فنتيجة لانفصال الساحل عن الداخل ، هيمنت السياسة القبلية على الداخل العماني حتى وقت متأخر عن سائر بلدان الخليج . وعلى كل ، فان الاحداث التي أدت الى القضاء على الامامة في الخمسينات مـــن هذا القرن واستعادة السلطنة للداخل العماني ، هي التي استحدثت نفس قوى التحول التي اسفرت عن اضمحلال النفوذ القبلي في الخليج .

وقد تم توحيد شطري عمان في نهاية عام ١٩٥٥ عندما احتلت القوات المسلحة للسلطنة كبرى مدن الداخل العماني . وتمثلت سلطة الحكومة في هذا الوقت في شخص « كبير الولاة » الذي كان يمثل السلطان في كل مـــا يتعلق بشؤون الشيوخ القبليين . وفي صيف عام ١٩٥٧ قام زعيم التحالف الغافري وشقيق الامام السابق ـــ جنبا الى جنب مع الامام ـــ بثورة مسلحة قصيرة المدى . وقد تمكنا من بسط نفوذ الامامة على معظم مدن الداخـــل العماني خلال فترة وجيزة ، الا ان قوات السلطنة بدعم من البريطانيين مـــا لبثت ان قضت على هذه الثورة ففر الثوار الى اعالي الجبل الاخضر حيـــث تعقبتهم قوات السلطنة الى ان تركوا عمان نهائيا في اوائل عام ١٩٥٩ .

وقد اسفر اخماد هذا العصيان والقضاء عليه عن ممارسة السلطان لسلطته السياسية ، على كل قبائل الداخل العماني ، ممارسة مباشرة من خلال ولاته الذين نصبهم على كبريات المدن . واستثنى من تلك القبائـــل

من ظل شيوخها على ولائهم للسلطان ولم يشتركوا في الثورة ضده . أما قبيلة **بني ريام** ، وهي أهم القبائل التي تورطت في هذه الثورة ، فقد منيت مستوطنتها الرئيسة بالدمار الشامل ، ونصب على قراها الواقعة داخل الجبال حاكم عسكري ، وأعيد تنظيم قوة المجندين التي كان يعوزها التدريب والتزود بالسلاح ، وهي القوة التي تشكل جيش السلطان ، وتسمت فيما بعد بقوات السلطان المسلحة SAF . وقد تم لها ذلك تحت اشراف احد القواد الذي تم انتدابه من الجيش البريطاني ، كما اقيمت المعسكرات في مداخل المواقع الرئيسية في الداخل العماني . واضطلع الجيش الجديد بمسؤولية جباية الضرائب من المقيمين في هذه المنطقة ، وذلك لاول مرة منذ ما يقرب من نصف قرن . كما ان هناك دلالة اخرى على تزايد نفوذ السلطان الا وهي مقدرته على اصدار الاوامر لشيوخ الداخل ، واجبارهم على اطاعتها دون اخذ أو رد .

أما القبائل الوحيدة التي تمتعت بقدر من الحكم الذاتي فهى التي اعلن زعماؤها الولاء للسلطان قبل نشوب الثورة واثناءها وبعدها خلال الفترة الواقعة بين ١٩٥٧ و ١٩٥٩ . ومن ابرز هؤلاء الزعماء احمد بن محمد الحارثي . ويحسن بناء أن نعرض لسيرة هذا الزعيم بشيء من التفصيل لان توليه الزعامة وانتزاعها منه يعد شاهدا على تحول السياسة القبلية في عمان خلال الاعوام الثلاثين الماضية ، كما يعد شاهدا على ما حل ببنية السلطة القبلية من تصدع عبر انحاء شرقي شبه الجزيرة العربية . فعند تولي جده الاكبر ثم جده من بعده امرة قبيلة الحرث ، غدت هذه القبيلة اهم قبائل التحالف الهناوي ، وغدا التمائم الحارثيون اهم وجهاء القبائل في البلاد .. وعندما أصبح ابوه تميمة للقبيلة في عام ١٩٤٦ ، تمخضت قيادته الضعيفة — بالاضافة الى ما لازمه من مرض طيلة مدة قيادته — عن فقدان القبيلة هيبتها ومكانتها بين قبائل التحالف . ثم اسفرت وفاته بعد توليه الزعامة بعامين عن صراع على الخلافة بين احمد وعمه زعيم قبيلة الحرث : صالح بن عيسى . ولما كانت نتيجة الصراع لصالح العم فقد توجه احمد الى السلطان يقدم له التأييد والولاء كي يناصره على عمه .

وقد خضع هذا التأييد للاختبار بعد ذلك بعدة سنوات عندما انضم عمه صالح الى قوات الامامة — التي لم تعمر طويلا (١٩٥٤ — ١٩٥٥) — وترك صالح البلاد بعدها لاجئا الى مصر ، وقد كان للولاء الذي اظهره احمد للسلطان في ذلك الوقت اثره ، اذ عينه السلطان واليا على **نزوى** ،

وهي أهم مدن الداخل العماني . ثم ما كان من احمد الا ان عبر عن هـذا الولاء على نحو عملي ابان نشوب الثورة عام ١٩٥٧ الامر الذي كان له اثره في منحه سلطة مطلقة على المنطقة الشرقية التي تقيم فيها قبيلة الحرث ، بالاضافة الى ما كان له من سطوة على القسط الاكبر من الداخل العماني . ونتيجـة لهذه العلاقة التي وثقتها مع السلطان ، وان كان فيها مجرد تابع له ، تمكن احمد من بسط سلطته على الداخل العماني على نحو لم يسبق لهذه المنطقة ان عرفت له مثيلا منذ منتصف القرن الثامن عشر . ولقد كان ما توصل اليه احمد من انجاز يعد امرا مستغربا في هذه الفترة ، خاصة وان السلطـة القيادية لبقية زعماء القبائل في شرقـي شبه الجزيرة كانت اخذة فـي الانحسار .

ومع هذا ، فلم يكن احمد براغب ولا بقادر على أن يتفهم ما طرأ على السلطة السياسية من تحول جذري في اعقاب انقلاب عام ١٩٧٠ فالنظـام الجديد لم يعتمد في توطيد اركانه على تأييد وجهاء القبائل او اظهار ولائهم . (لكنه اعتمد على امور اخرى) ، فقد انفق تقريبا كل ارصدة عوائد النفط المكدسة منذ سنوات دون ان تستثمر فيما يعود على الشعب بالفائدة ــ على تنمية المشاريع الاقتصادية ــ مع العلم بأن قدرا كبيرا من هذه الارصدة قد انفق على مواجهة حرب العصابات في ظفار ، كما قام النظام الجديد بتوسيع رقعة المشاركة في الحكومة على نحو ملحوظ . اما النظام القديم الذي سار عليه السلطان المعزول ، والذي كان من خلاله يدير دفة الحكم بمفردة مـع اسناد قدر بسيط من السلطة لقلة من خلصائه غير الاكفاء ، فقد انقلب راسا على عقب بمجيء النظام الجديد في عام ١٩٧٠ وما اعقبه من توسع فـي الجهاز الحكومي ، ورحابة في المفهوم السياسي للدولة . وقد تم اسناد الوظائف القيادية لرجال الاسر التجارية وللعمانيين العائدين من المنفى والى كثيرين من ممثلي مختلف الاقليات .

لم يعد التنظيم القبلي و التحالفات القبلية بالعامل الاساسي المؤثر في السياسة القوية العمانية . فعلى الرغم من تخصيص منصبين وزاريـين لممثلين عن قبائل الداخل العماني ، فقد تم الاستغناء عن الشيوخ بمجـرد وصول الخدمات الحكومية الى الناس مباشرة ، كما تم تكليف الافراد للعمل في الحكومة على اساس الكفاية الشخصية لا على اساس الانتماء القبلي . اما البقية الباقية من تمائم القبائل فقد اضطروا للقبول بسيادة الحكومـة وتصريفها لكل امور البلاد ، واقتصر ما تبقى لهم من سلطـة على تصريف

الشؤون الداخلية للقبلية ولا اكثر . وعندما رفض احمد بن محمد الحارثي الاعتراف بسيادة السلطان الكاملة ، تم وضعه تحت الاقامة الجبرية في منزله بمسقط حيث بقى هنالك حتى عام ١٩٧٦ (١٤) .

وبأفول سلطة احمد بن محمد الحارثي ، سقطت اخر وأهم ركيزة من ركائز الحكم الذاتي القبلي في شرقي شبه الجزيرة العربية ، ومنذ ذلك الحين، فان القبائل الوحيدة التي استطاعت ان تسير امورها الداخلية على نحو مستقل نسبيا عن الاشراف الحكومي ، لا تشكل سوى عدد محدود من القبائل ذات الطابع البدوي الخالص والتي تسكن المناطق الصحراوية . وحتى في هذه المناطق ، ظهر تأثير النفط على نحو تغيرت معه الحياة اليومية لهذه القبائل ، كما ظهر في جذب المستوطنات الساحلية لرجالها . ومن هنا يتضح ان القبلية — كعامل من العوامل المؤثرة في الحياة السياسية لدول شرقي شبه الجزيرة العربية — قد انحسرت اهميتها . كما ان موارد الثروة المتزايدة والمتاحة لحكام المنطقة قد مكنت هؤلاء الحكام من بسط نفوذهم وسلطتهم السياسية على نحو لم يسبق له مثيل . أما العشائر المشيخية فلم تكن بقادرة على ان تحتفظ بما لها من نفوذ الا من خلال انخراطها في انشطة بعيدة عن ممارسة العمل السياسي : كالاشتغال بالتجارة والعقارات أما السير على درب الرخاء الاقتصادي بالنسبة لرجل القبيلة فقد تطلب اعتمادا اقل عن ذي قبل على الصلات القبلية ومزيدا من الاعتماد على غير ذلك من معايير .

وتعد الاسر الحاكمة الاسر الوحيدة التي واصلت اداء ما اضطلعت به من دور سياسي مركزي مهم . ومع هذا ، فان التوجيه القبلي لسياسة هذه الاسر قد يذوي بتحولها الى اسر حاكمة او توقراطية . وعلى الرغم من ان هنالك عناصر متطرفة قد سعت الى استدراج عدد من العناصر القبلية لتأليبها على نظم الحكم الحالية ، فان اية حركة ضاغطة تبغي الحصول على مشاركة سياسية أرحب لا تصدر عن مثل هذه العناصر وانما قد تصدر عن عناصر المجتمع المنخرطة في انشطة اجتماعية منظمة : كالجماعات المهنية

---

١٤ — لقاءات أجراها المؤلف في عُمان .

والنوادي الاجتماعية والنقابات العمالية (١٥) . وعلى هذا ، فان مكانة الاسرة الحاكمة ستظل ، دون شك ، آخذة في القوة حتى فترة طويلة مقبلة ، خاصة انها تشكل حلقة مهمة في تحول المنطقة من مجتمعات قبلية الى دول حديثة .

---

١٥ ــ يقتصر التطور الاجتماعي الملازم لظهور هذه الجماعات ــ الى حد كبير ــ على دولة البحرين ، بسبب ظهور مردود النفط فيها قبل غيرها من دول الخليج الاخرى . ومع هذا ، فان الاسرة الحاكمة كانت مترددة في اشراك هذه الجماعات في السلطة ، كما ظهر في احداث اغسطس ١٩٧٥ عندما اعلنت الحكومة حل مجلس الامة الى اجل غير مسمى ، انظر اميل نخلة في كتابه : البحرين .

المطبعة العصرية ومكتباتها ـ الكويت

الطبعة الثانية ــ ١٩٨٢